ثقل بناته فليجعل المدرسة بيتهن الثاني تكن له الغبطة بهن ويكن لهن هناء الحاضر ونعيم المستقبل

كاترين اصطفان
ناظرة المدرسة الوطنية
بالباب الجديد

﴿ العائلة ﴾

يحسن بمن يكتب لجريدة نسائية ان يتوخى كل ما فيه الفائدة وان يتبع بنظره مرامي الامال التي تكتب لاجلها جرائد النساء في بلاد كمصر . وان اهم مايعود بالفائدة ويرجع بتحقيق الامال اعلاءشأن المرأة فيهاواصلاح حالها . ولا يراد من هذا غير تقويم المعوج من نظام العائلة وجعلها كما يجب ان تكون فالبحث والكتابة عندي ينبغي ان لا يتعديا هذا الحد وان لا يتجاوزا هذه الغاية

والعائلة كما يعرف القراء لفظ صغير ذاته كبير في معناه اذ هي اخص مجتمعات البشر الجديرة بالسياسة والبحث

ويمكن لمن يستتبع اطوار العائلات والامم ان يرى العائلة تتناهى في الكبر من حيثية الوضع حتى تتطابق في الشكل مع الامة على انها لم تكن غير حلقة في سلسلتها او ان يرى الامة على عظم شأنها واتساع دائرتها تتناهى في الصغر حتى تكون في شكل عائلة فهي والعائلة من هذا الوجه اشبه بمرآتين ترى الواحدة منهما في الاخرى . ويعجبني تعريف احد الكتاب الفرنساويين للعائلة بانها الاسترقاق وان كان قد نظر اليها من وجه آخر بينه في تتمة عبارته

La famille est une servitude, je ne dis point cela pour l'abaisser, mais pour la relever: c'est une noble servitude ou chacun se doit à tous

ومعناه انه لم يقل هذا للحط من مكانتها وانما قاله لاعلائها فهي استرقاق شريف حيث يلتزم الواحد برعاية الجمع

الا ان مثل هذا القول وان كان قد اصاب كبد الحقيقة ولاق بحال العائلة لا يكفي لبيان ما هيتها وتحديد كنهها ولسنا نريد في هذه العجالة الا تحديدها واقعياً وكشف امرها بنسبة من تتألف منهم وبيان طريقها وغايتها

لذا نقول ان العائلة تتألف من التئام جنسين مع بعضهما ولا نعني بهما غير الذكر والانثى من افراد كل امة على الصورة التي تدعوها الامم زواجاً

ومن البديهي ان هذا الالتئام لا يقع الا بعد ارادة اذ بغيرها لا يمكن ان يكون الزوجان موءتلفين موءتنسين ببعضهما . فاذا تم هذا الالتئام وانعقد الزواج كاملا على وفق ما جاء في الشرائع اتصل الزوجان ببعضهما وارتبطا في حياتهما ارتباطاً كلياً يمنع الرجل من ان ينظر الى ماضيه او ان يذكر انه ولد ذينك الابوين اللذين درج في عشهما وترعرع في دارهما ونشأ بين اكنافهما وكذلك يمنع المرأة من ان تعود في النسبة الى ابويها او ان تذكر تلك الايام التي قضتها في خدرها يوم كانت آنسة بين ابويها واخوتها واخواتها فيتعين عليهما ان يستقبلا حياة جديدة ويستعيضا بها عن تلك الحياة الاولى التي قطعاها على انفراد وربما كان الواحد منهما لا يعرف الاخر

اما تزاوجهما في هذه الحال فيكون اشبه بميثاق على المشاركة في سراء العيش وضرائه وشدة الحياة ورخائها فكما انهما يكونان في الصفو سيين كذلك هما في البؤس متساويان لا انفكاك لاتصالهما اذا توافقا ولا منغص لعيشهما الا ما كان من آلام هذه الحياة

اما الحكمة التي روعيت في هذا الاتصال فلا شيء غير المحافظة على النوع بالتكثير وما وراء ذلك من الاميال النفسانية غير مقصود بالذات وانما هي مقصودة تبعاً اذ مقاصد الانسانية الكاملة ومرامي الاداب الصحيحة تأبى ان تعدها غاية من اقتران زوجين

يدل على هذا كون الاتصال المجرد عن هذه الحكمة عمداً يحسب من قبيل الجرائم ولا يجهل هذا كل عارف بالديانات وحرمة الزناء فيها والحدود التى ضربتها على مرتكبيه

اما القوانين الادبية فهي وان تركت بعض هذه الحدود فقد وكلته الى ضمانة الاداب وكفالة الاخلاق

ومن مقاصد الزواج مصافاة النفوس والتعاون وامثال هاتين الخلتين لا تصدر الا عن محبة ثابتة وائتلاف صحيح بين الزوجين لذاتهما

وانما قلت لذاتهما لان المحبة للذات اما ان يكون رائدها جمال الخَلق اوكمال الخُلق وقل ان تأتي محبة جاءت من وراء الجمال في الذات بالغرض اذا كان في جانبها عيب في الطبع وقبح في السجية

بان مما تقدم ان الزواج يمكن ان يقال عنه انه طريق العائلة او هو الخطوة الاولى في اقامة بنيانها وهو في معناه المتقدم ليس الا كشركة بين الزوجين يعقدانها لقضاء واجب حفظ النوع فلزومه لحفظ النوع اشبه بلزوم الفتنة لتعطيله بمصداق « زوجوهن فان لا تفعلوا تكن فتنة في الارض وفساد كبير »

واهم الصفات التي يجب ان تتوفر بين الزوجين دوام الثقة ببعضهما في جميع احوالهما اذ بدون ذلك تنحل نسبتهما ويعيشان في افتراق اهواء وتخالف

آراء ولولا ما شرعه الله من ذلك الحكم الذي يسترجع به كل زوج حريته ليواثق من شاء بمثل ميثاقه الاول لتفاقم الامر وعز الصبر

لذلك كان اختيار الزوجين لبعضهما في الازمان الغابرة وعند جميع الامم متحضرة ومتبدية امراً مهماً به ولا سيما عند تلك الامة العربية التي بلغ من عنايتها بتخير الزوجة ان يقطع الرجل المراحل ويركب الصعاب لاستيصافها او ان يؤم الخبيرة بشأنها العالمة باحوالها فتلقي عليه من اوصافها ما يكشف له القناع عن حقيقتها . ولما ارسل الحارث بن عمر ملك كندة امرأة من كندة لتختبر له جمال ابنة عوف بن محلم الشيباني وكمالها وقوة عقلها رجعت اليه فقال لها ما وراءك يا عصام فقالت من الاوصاف والنعوت ما تملكت به عصام او موصوفتها قلب الملك فخطبها لابيها وتزوج بها فحقق خبره بعد خبر عصام ورأى من جمال ظاهرها وكمال باطنها وحسن سجاياها وكرم طباعها ما كان به زوجاً فاباً وكذلك كانت المرأة تستوصف خطيبها ولا مطمح لها في نظرها غير الصفات الفاضلة كالكرم والشجاعة وحفظ الجار وحماية الذمار وامثال ذلك

وبالجملة فقد كان الزوجان قبل ارتباطهما يتخير الواحد منهما الآخر على ما يرى في تواريخ الامة العربية من مثال الرجل الكامل والمرأة الكاملة

ومن الصفات التي كانت العرب تتنافس فيها على النساء المجد والعفاف وعراقة النسب حتى لقد كان الرجل يمتن على بنيه بتخير امهم وانه اكرمهم بحسن اختياره لها من بيت كريم المحتد طيب الارومة عالي الحسب بادي العفاف يدل على ذلك ما قاله الرياشي ذات يوم لبنيه ضمن قصيدة

واول احساني اليكم تخيري لماجدة الاعراق باد عفافها

هذا ولا ننسى ان تمام النسبة بين الزوجين لا يكون الا اذا صارا ابوين لانهما في هذه الحالة يكونان متحدين على غاية واحدة هي التربية وسيأتي الكلام عليها بعد

م ٠ د

مجمل حياة النساء

اليك ايها الجنس القوي يساق الحديث ولا ندري اننا ضلك وانت مستودع الامل ام نقاسمك اشطر الحياة وانت الشريك الرفيق ام ننحي عليك وانت القوي الظالم على الجنس اللطيف وقد استأثرتم دوننا بجميع القوى وتساعدتم علينا بكل الممكنات فلكم دوننا كل قدرة سيفية وقلمية وتشريعية ٠ قيدتم هيكلنا الباهر بقيود كل استطاعة وسطوة وحميتم علينا كل امكان بالجبروت والقوة

ولكن هيهات هيهات ان هذا الجنس المستضعف قد سخر الارواح بلطفه وقيد الاشباح برقته وقسوة لين شمائله فهبنا وهبنا لك سلطتك الظاهرة فمن ذا الذي يعصمك من قهر سلطانه اللطيف او يذود عنك صولة نظام الكائنات واحكام النواميس الطبيعية ٠ رفقاً بنفسك لا تحملها ما لا تقوى عليه ولا تسمح لك به قوانين الفطرة التي لا ترق لحالك ولا ترهب من افعالك واعلم انك مشترك بالذات وان اختلفت فيك الصفات فاقنع بما قسم المليك ولا تضرب الامثال فمقام الخليقة مقام امتثال واعلم ان الروح جوهر مجرد لا ذكر ولا انثى ولكنه يتأثر بحالة التقويم البدني فتختلف قابلية الرجال والنساء وكل منهما نصف العالم واهمية موقعه على هذه النسبة العادلة وشأن الحياة العمل